ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء وهذا كثير في النصارى فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه ا إياها فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلها من دون ا يعبدونه كما يعبدونه بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه فادعوا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه سواء كان حقا أو باطلا أو ضلالا أو رشادا أو صحيحا أو كذبا ولهذا قال ا تعالى : { اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون ا } الاية وقال الإمام أحمد : حدثنا هشيم قال : زعم الزهري عن عبيد ا بن عبد ا بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس عن عمر أن رسول ا صلى ا عليه وسلّم قال : [ لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد فقولوا : عبد ا ورسوله ] ثم رواه هو وعلي بن المديني عن سفيان بن عيينة عن الزهري كذلك ولفظه [ إنما أنا عبد فقولوا عبد ا ورسوله ] وقال علي بن المديني : هذا حديث صحيح سنده وهكذا رواه البخاري عن الحميدي عن سفيان بن عيينة عن الزهري به ولفظه [ فإنما أنا عبد فقولوا عبد ا ورسوله ] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رجلا قال يا محمد يا سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا فقال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : [ أيها الناس عليكم بقولكم ولا يستهويكم الشيطان أنا محمد بن عبد ا عبد ا ورسوله وا ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني ا D ] تفرد به من هذا الوجه وقوله تعالى : { ولا تقولوا على ا إلا الحق } أي لا تفتروا عليه وتجعلوا له صاحبة وولدا تعالى ا D عن ذلك علوا كبيرا وتنزه وتقدس وتوحد في سؤدده وكبريائه وعظمته فلا إله إلا هو ولا رب سواه ولهذا قال : { إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول ا وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه } أي إنما هو عبد من عباد ا وخلق من خلقه قال له : كن فكان ورسول من رسله وكلمته ألقاها إلى مريم أي خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل عليه السلام إلى مريم فنفخ فيها من روحه بإذن ربه D فكان عيسى بإذنه D وكانت تلك النفخة التي نفخها في جيب درعها فنزلت حتى ولجت فرجها بمنزلة لقاح الأب والأم والجميع مخلوق ا D ولهذا قيل لعيسى : إنه كلمة ا وروح منه لأنه لم يكن له أب تولد منه وإنما هو ناشىء عن الكلمة التي قال له بها كن فكان والروح التي أرسل بها جبريل قال ا تعالى : { ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام } وقال تعالى : { إن مثل عيسى عند ا كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون } وقال تعالى : { والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين } وقال تعالى : { ومريم ابنة عمران

التي أحصنت فرجها } إلى آخر السورة وقال تعالى إخبارا عن المسيح : { إن هو إلا عبد أنعمنا عليه } الاية .

وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة { وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه } هو قوله : { كن فيكون } وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان الواسطي قال : سمعت شاذ بن يحيى يقول في قول ا { وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه } قال : ليس الكلمة صارت عيسى ولكن بالكلمة صار عيسى وهذا أحسن مما ادعاه ابن جرير في قوله : { ألقاها إلى مريم } أي أعلمها بها كما زعمه في قوله : { إذ قالت الملائكة يا مريم إن ا يبشرك بكلمة منه } أي يعلمك بكلمة منه ويجعل ذلك كقوله تعالى : { وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك } بل الصحيح أنها الكلمة التي جاء بها جبريل إلى مريم فنفخ فيها بإذن ا فكان عيسى عليه السلام وقال البخاري : حدثنا صدقة بن الفضل حدثنا الوليد حدثنا الأوزاعي حدثني عمير بن هانىء حدثنا جنادة بن أبي أمية عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى ا عليه وسلّم قال : [ من شهد أن لا إله إلا ا وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد ا ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق والنار حق أدخله ا الجنة على ما كان من العمل ] .

وقال الوليد : فحدثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن عمير بن هانىء عن جنادة زاد [ من أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء ] وكذا رواه مسلم عن داود بن رشيد عن الوليد عن ابن جابر به ومن وجه آخر عن الأوزاعي به فقوله في الاية والحديث [ وروح منه ] كقوله : { وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه } أي من خلقه ومن عنده وليست من للتبعيض كما تقوله النصارى عليهم لعائن ا المتتابعه ـ بل هي لابتداء الغاية كما في الاية الأخرى وقد قال مجاهد في قوله : { وروح منه } أي ورسول منه وقال غيره : ومحبة منه والأظهر الأول وهو أنه مخلوق من روح مخلوقة وأضيفت الروح إلى ا على وجه التشريف كما أضيفت الناقة والبيت إلى ا في قوله : { هذه ناقة ا } وفي قوله : { وطهر بيتي للطائفين } وكما روي في الحديث الصحيح : [ فأدخل على ربي في داره ] أضافها إليه إضافة تشريف وهذا كله من قبيل واحد ونمط واحد .

وقوله : { فآمنوا با ورسوله } أي فصدقوا بأن ا واحد أحد لا ولد له ولا صاحبة واعلموا وتيقنوا بأن عيسى عبد ا ورسوله ولهذا قال تعالى : { ولا تقولوا ثلاثة } أي لا تجعلوا عيسى وأمه مع ا شريكين تعالى ا عن ذلك علوا كبيرا وهذه الاية كالتي في سورة المائدة حيث يقول تعالى : { لقد كفر الذين قالوا إن ا ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد } وكما قال في آخر السورة المذكورة : { وإذ قال ا يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني } الاية وقال في أولها { لقد كفر الذين قالوا إن ا هو المسيح ابن مريم } الاية

ـ فالنصارى عليهم لعائن ا ـ من جهلهم ليس لهم ضابط ولا لكفرهم حد بل أقوالهم وضلالهم منتشر فمنهم من يعتقده إلها ومنهم من يعتقده شريكا ومنهم من يعتقده ولدا وهم طوائف كثيرة لهم آراء مختلفة وأقوال غير مؤتلفة ولقد أحسن بعض المتكلمين حيث قال : لو اجتمع عشرة من النصارى لافترقوا على أحد عشر قولا .

ولقد ذكر بعض علمائهم المشاهير عندهم وهو سعيد بن بطريق بترك الإسكندرية في حدود سنة أربعمائة من الهجرة النبوية أنهم اجتمعوا المجمع الكبير الذي عقدوا فيه الأمانة الكبيرة التي لهم وإنما هي الخيانة الحقيرة الصغيرة وذلك في أيام قسطنطين باني المدينة المشهورة وأنهم اختلفوا عليه اختلافا لا ينضبط ولا ينحصر فكانوا أزيد من ألفين أسقفا فكانوا أحزابا كثيرة كل خمسين منهم على مقالة وعشرون على مقالة ومائة على مقالة وسبعون على مقالة وأزيد من ذلك وأنقص فلما رأى منهم عصابة قد زادوا على الثلثمائة بثمانية عشر نفر وقد توافقوا على مقالة فأخذها الملك ونصرها وأيدها وكان فيلسوفا داهية ومحق ما عداها من الأقوال وانتظم دست أولئك الثلثمائة والثمانية عشر وبنيت لهم الكنائس ووضعوا لهم كتبا وقوانين وأحدثوا فيها الأمانة التي يلقنونها الولدان من الصغار ليعتقدوها ويعمدونهم عليها وأتباع هؤلاء هم الملكانية ثم إنهم اجتمعوا مجمعا ثانيا فحدث فيهم اليعقوبية ثم مجمعا ثالثا فحدث فيهم النسطورية وكل هذه الفرق تثبت الأقانيم الثلاثة في المسيح ويختلفون في كيفية ذلك وفي اللاهوت والناسوت على زعمهم هل اتحدا أو ما اتحدا أو امتزجا أو حل فيه على ثلاث مقالات وكل منهم يكفر الفرقة الأخرى ونحن نكفر الثلاثة ولهذا قال تعالى : { انتهوا خيرا لكم } أي يكن خيرا لكم { إنما ا إله واحد سبحانه أن يكون له ولد } أي تعالى وتقدس عن ذلك علوا كبيرا { له ما في السموات وما في الأرض وكفى با وكيلا } أي الجميع ملكه وخلقه وجميع ما فيها عبيده وهم تحت تدبيره وتصريفه وهو وكيل على كل شيء فكيف يكون له منهم صاحبة وولد كما قال في الاية الأخرى : { بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد } الاية وقال تعالى : { وقالوا اتخذ الرحمن ولدا * لقد جئتم شيئا إدا * تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا * أن دعوا للرحمن ولدا * وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا * إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا * لقد أحصاهم وعدهم عدا * وكلهم آتيه يوم القيامة فردا }